محاضرة: (لحوم العلماء مسمومة)

فضيلة الشيخ: د. ناصر ابن سليمان العُمــر

....

بسم الله الرحمن الرحيم
إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه.
ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريكله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله،
صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً كثيرا.

(يا أيها الذين أمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون).

(يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا).

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا ،يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما).

أما بعد أيها الأخوة المؤمنون، فسلام الله عليكم ورحمته وبركاته.
نلتقي في هذه الليلة المباركة، في بيت من بيوت الله مع موضوع من أهم الموضوعات التي نحن بأمس الحاجة إلى التفقه فيها.
والصحوة اليوم، هذه الصحوة المباركة بحاجة إلى ترشيد وتوجيه حتى لا تأتى من داخلها، فالنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله.
إن لم تجد هذه الصحوة من يوجهها ويرشدها فإنني أخشى عليها من نفسها قبل خشيتي عليها من أعدائها.
ومن هنا جئت هذه الليلة لأتحدث لكم وأتحدث معكم عن هذا الموضوع الذي استمعتم إلى مقدمته من أخي الفاضل.
وأحب أن أنبه أن لهذا الموضوع قصة لابد أن تروى:
فقد بلغني في العام الماضي أن هناك بعض الطيبين ينتسبون إلى هذه الصحوة يلتقون في مناسبات مختلفة ويكون جل حديثهم عن العلماء، يقيمون العلماء ويقومون العلماء ويذمون ويمدحون، وهم شباب أحسن ما نقول فيهم أنهم من طلاب العلم لا من العلماء.
فتأثرت في هذا الموضوع فقمت وبدأت أجمع وأقرأ في كتب السلف:
هل كان شبابهم وعلمائهم يفعلون مثل ما نفعل؟؟
ثم قمت وألقيت هذا الموضوع في إحدى الجامعات، ولكنني اعتذرت عن إخراجه لأنه لم يستوي على سوقه بعد.
ومرت فترة وأوذي أحد الدعاة إلى الله، بل أحد العلماء وطعن في عرضه وكانت تلك الطعنة موجهة إلى كل عالم وإلى كل طالب علم،فآلمتنا وأحزنتنا وأقضت مضاجعنا.
وطلب مني بعض الأخوة الذين استمعوا إلى هذه المحاضرة أن أقوم بإخراجها فاعتذرت لأنني قلت أنها لم تكتمل بعد.
وجاءت الأحداث الأخيرة، جاءت الأحداث المريرة، جاءت الفتن التي كقطع الليل المظلم التي نعيش فيها هذه الأيام، فماذا حدث؟
حدث ما يريده الأعداء، واستبيحت لحوم العلماء، ولم يقتصر الحديث عن العلماء على طلاب العلم أو على الدعاة، بل فتح الباب لمن هب ودب حتى تطاول العامة وتطاول المنافقون والعلمانيون على علمائنا.
وقل أن تدخل إلى مجلس أو منزل إلا وتسمع فيه حديثا عن عالم من العلماء وإلى اليوم.
فقلت إن تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز.
فجئت إليكم أيها الأحبة مذكرا وناصحا ومبينا ومحذرا من عاقبة الحديث في لحوم العلماء.
وموضحا قدر الإمكان المنهج الصحيح لمعالجة هذه القضية وفق منهج أهل السنة والجماعة.

والموضوع طويل وعناصره كثيرة، ولكنني سأحاول الاختصار قدر الإمكان ولعلي أكتفي من القلادة بما أحاط بالعنق.
فلحوم العلماء مسمومة ورحم الله أبن عساكر حيث يقول:
(أعلم يا أخي وفقني الله وإياك لمرضاته وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته أن لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقصهم معلومة، وأن من أطلق لسانه في العلماء بالثلب بلاه الله قبل موته بموت القلب).

(فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم).

ألخص أسباب الحديث عن هذا الموضع بما يلي:
أولا أن مكانة العلماء في الإسلام مكانة عظيمة، فيجب تعظيمهم وإجلالهم.
ثانيا تساهل كثير من الناس في هذا الجانب.
ثالثا وقوع طلاب العلم في علمائهم من حيث لا يشعرون.
رابعا عدم فهم كثير من الدعاة للمنهج الصحيح في هذه القضية.
خامسا وأخيرا وهو مهم جدا الهجمة الشرسة المنظمة من المنافقين والعلمانيين على علماءنا تبعا لأسيادهم من اليهود والنصارى.
من أجل ذلك جئت أتحدث معكم أيها الأخوة، وأبين بعض هذه الأسباب فأقول:

النقطة الأولى مكانة العلماء وفضلهم يقول جل وعلا:

(قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون).

ويقول سبحانه:

(إنما يخشى اللهَ من عباده العلماء).

ويقول جل وعلا:

(وأطيعوا الله والرسول وأولي الأمر منكم).

وأولو الأمر كما قال العلماء هم العلماء، وقال بعض المفسرين أولو الأمر الأمراء والعلماء.
ويقول جل وعلا:

(يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير).

وروى البخاري عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال:
(من يرد الله به خيرا يفقه في الدين).
قال أبن المنير كما ذكر أبن حجر:
(من لم يفقه الله في الدين فلم يرد به خيرا).
وروى أبو الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال:
(فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ليلة القدر، العلماء هم ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهم، وإنما ورثوا العلم فمن أخذ به فقد أخذ بحظ وافر).
وهو حديث حسن أخرجه أبو داوود والترمذي والدارمي.
ومن عقيدة أهل السنة والجماعة كما قال الإمام الشيخ عبد الرحمن أبن سعدي رحمه الله:
(أنهم يدينون الله باحترام العلماء الهداة).
من عقيدة أهل السنة والجماعة أنهم يدينون الله ويتقربون إلى الله جل وعلا باحترام العلماء الهداة.
قال الحسن:
(كانوا يقولون موت العالم ثلمة في الإسلام لا يسدها شيء ما اختلف الليل والنهار).
وقال الإمام الأوزاعي:
(الناس عندنا أهل العلم ومن سواهم فلا شيء).
وقال سفيان الثوري:
(لو أن فقيها على رأس جبل لكان هو الجماعة).
لو أن فقيها كان على رأس جبل وحده لكان هو الجماعة.
الناس من جهة التمثال أكفاء...... أبوهمُ أدم والأم حواء
فإن يكن لهم في أصلهم نسب....... يفاخرون به فالطين والماء
ما الفضل إلا لأهل العلم إنهمُ...... على الهدى لم استهدى أدلا

وقدر كل امرأ ما كان يحسنه...... والجاهلون لأهل العلم أعداء
أما تعظيم العلماء ووجوب تقديرهم واحترامهم، فاسمعوا إلى قوله تعالى:
(ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه).
ويقول جل وعلا:
(ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب).
والشعيرة كما قال العلماء كل ما أذن وأشعر الله بفضله وتعظيمه، إذا العلماء قد أذن الله وأشعر الله بفضلهم وتعظيمهم:
(يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير)
فتعظيمهم واجب:
(ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه).
(ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب).
قال أحد العلماء:
(أعراض العلماء على حفرة من حفر جهنم).
وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال قالَ رسول الله (صلى الله عليه وسلم):
(قال الله عز وجل من آذى لي وليا فقد آذنته بالحرب).
أيها الأخوة كلنا ندرك أن من أكل الربى فقد آذنه الله بالحرب:
(فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله).
إن لم ينتهي آكل الربى عن أكله الربى فليأذن بحرب من الله ورسوله، كلنا يدرك هذه القضية.
ولكن هل نحن ندرك أيضا أن من آذى أولياء الله فقد حارب الله جل وعلا:
(قال الله عز وجل من آذى لي وليا فقد آذنته بالحرب).
روى الخطيب البغدادي عن أبي حنيفة والشافعي رحمهم الله أنهما قالا:
(إن لم تكن الفقهاء أولياء الله فليس لله ولي).
قال الشافعي: (الفقهاء العاملون).
وقال ابن عباس رضي الله عنهما:
(من آذى فقيها فقد آذى رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ومن آذى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقد آذى الله عز وجل).
إذا أيها المؤمن، أخي الكريم هل ندرك مكانة العلماء ؟
لعلنا من خلال النصوص التي ذكرتها وتحدثت عنها تبين لنا بعض ما يجب علينا في حق علمائنا، ولعلها مناسبة طيبة أن أنبه إلى خطورة اللسان لأننا تساهلنا في ألسنتنا.
فأذكر أولا فضل اللسان، أذكر أيها الأخوة امتنان الله عليكم بهذه الألسنة هذه الجارحة اليسيرة.
يقول جل وعلا عن موسى عليه السلام:
(واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي). ويقول **(ولا ينطلق لساني).**
ويقول عن أخيه هارون: **(هو أفصح مني لسانا).**
ويقول سبحانه وتعالى ممتنا على عبده:
(ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين).
ومن أجل أن أوضح قيمة هذا اللسان، والفضل له، لنأخذ مثلا واحدا:
الذي نزعت منه هذه النعمة أو الأبكم، إذا أراد أن يعبر عن ما في نفسه، تتحرك يداه وشفتاه وعيناه ورأسه وجزء من جسمه ولا يستطيع أن يعبر عن ما في نفسه، وتبقى في نفسه حسرة.
وأنت أيها المؤمن بكلمات يسيرة معدودة تعبر عن ما في نفسك، أليست هذه نعمة؟
(ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين).
والصحة تاج على رؤوس الأصحاء لا يراه إلا المرضى.
إذا هل نحن نحافظ على هذا اللسان، أو نطلقه في علمائنا وفي عوام الناس.
استمعوا إلى خطورة ذلك:
يقول جل وعلا:

(إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم).
(فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد).
ولذلك جاء الأمر بحفظه والتحذير من تركه:
(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا).
(ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد).
(ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا).
وفي الحديث الذي رواه الترمذي:
(وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم).
ويقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) في الحديث المتفق عليه:
(من يضمن لي ما بين لحييه وما بين فخذية أضمن له الجنة).
عموم الناس وكثير من الناس وأخص الطيبين منهم لا يقع في ما بين فخذيه، أي يضمن ما بين فخذيه، وهذه نعمة من الله جل وعلا. أي يضمن الفرج وما حوله.
ولكن هل نحن نضمن ما بين لحيينا؟
هل يمر علينا يوم بدون أن نتحدث في عرض مسم أو في عرض عالم. ؟
(من يضمن لي ما بين لحييه وما بين فخذيه أضمن له الجنة).
ويقول الرسول (صلى الله عليه وسلم):
(المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده).
ويقول (صلى الله عليه وسلم): استمعوا إلى هذا الحديث:
(إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها إلى النار أبعد ما بين المشرق والمغرب).

يصاب الفتى من عثرة في لسانه — وليس يصاب المرء من عثرة الرجل
فعثرته في القول تذهب رأسه — وعثرته بالرجل تبرأ على مهل
احفظ لسانك أيها الإنسان — لا يلدغنك إنه ثعبان
كم في المقابر من قتيل لسانه — كانت تهاب لقائه الشجعان
الصمت زين والسكوت سلامة — فإذا نطقت فلا تكن مكثارا
فإذا ندمت على سكوتك مرة — فلتندمن على الكلام مرارا

قال حاتم الأصم:
(لو أن صاحب خبر جلس إليك ليكتب كلامك لاحترزت منه، وكلامك يعرض على الله جل وعلا فلا تحترز).
هنا يتبادر سؤال:
هل لحوم العلماء فقط هي المسمومة؟
هل لحوم بقية الناس مباحة؟
يقول جل وعلا:
(والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا).
ويقول (صلى الله عليه وسلم) مبينا ذلك:
(كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله) رواه مسلم.
وقال (صلى الله عليه وسلم) في حجة الوداع:
(إن دمائكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا..ألا هل بلغت). متفق عليه.
فالغيبة أيها الأخوة محرمة، وغيبة العلماء من أشد أنواع الغيبة، يقول جل وعلا:
(ولا يغتب بعضـــكم بعضا أيحب أحـــدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم).
وقال (صلى الله عليه وسلم):
أتدرون ما الغيبة؟
قالوا الله ورسوله أعلم.

قال ذكرك أخاك بما يكره،
قيل افرأيت إن كان في أخي ما أقول.
قال إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته). مسلم.
هذا إذا كان فيه ما يقول وهو من عموم الناس، كيف بالحديث عن العلماء بالحق وبالباطل؟
وفي سنن أبي داوود عن أنس رضي الله عنه قال قالَ رسول الله (صلى الله عليه وسلم):
(لما عرج بي إلى السماء مررت بقوم لهم أضفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت من هؤلاء يا جبريل؟ قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم).
كيف بالذي يقع في لحوم العلماء؟
واسمعوا إلى هذه الكلمة من ابن القيم رحمه الله، والله إنها كلمة تكتب بماء الذهب، لماذا؟
لأنها تنطبق على كثير من الناس الطيبين وكثير من طلاب العلم، اسمع إلى هذا الكلام القيم من ابن القيم قال:
(وكم ترى من رجل متورع عن الفواحش والظلم ولسانه يفري في أعراض الأحياء والأموات ولا يبالي ما يقول).
وكم ترى من رجل متورع عن الفواحش والظلم، لو رأى أن شابا أو إنسانا نظر إلى امرأة لقال له حرام ولزجره، ولكن لسانه يفري في لحوم الناس عموما والعلماء خصوصا، ولا يبالي بما يقول.
بعد هذه المقدمات أيها الأخوة وهي جزء من الموضوع، ندخل في صلب الموضوع في الحديث عن لحوم العلماء.

****

النقطة الثانية ما هي الأسباب التي تجعل الناس يتحدثون عن في لحوم العلماء؟
استمعوا إلى هذه الأسباب:
السبب الأول الغَيرَة والغِيرة.
الغَيرَة محمودة فهي من الغيرَة على دين الله جل وعلا، ولكن قد يكون الباعث للحديث غيرَة ولكنها ينجر شيئا فشيئاً حتى يقع هذا الذي غار على دين الله في لحوم العلماء من حيث لا يشعر.
وهناك مزيد بيان لهذه القضية.
أما الغِيرَة فهي مذمومة وهي قرينة الحسد، قال سعيد ابن جبير رحمه الله:
(استمعوا لعلم العلماء ولا تصدقوا بعضهم على بعض، فوالذي نفسي بيده الهم أشد تغايرا من التيوس في زرابها).
كلام العلماء بعضهم في بعض من الأقران، يقول الإمام سعيد ابن جبير انهم أشد تغايرا من التيوس في زرابها. ألستم ترون التيوس كيف ينطح بعضها بعضا ويؤذي بعضها بعضا.
فيقول خذوا من كلام العلماء واستفيدوا من علمهم ولا تصدقوا كلام بعض على بعض من الأقران.
ولذلك قال الذهبي:
(كلام الأقران بعضهم في بعض لا يعبأ به لاسيما إذا كان لحسد أو مذهب أو هوى، والحسد يعمي ويصم ومنه التنافس للحصول على جاه أو مال، فقد يطغى بعضهم على بعض ويطعن بعضهم في بعض من أجل القرب من سلطان أو الحصول على جاه أو مال).
أيها الأخوة، الحسد، الغيرة، التنافس من أسباب الحديث في لحوم العلماء.
السبب الثاني الهوى:
قال الله جل وعلا: **(ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله).**
وقال: **(فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين)**
وقال شيخ الإسلام:
(صاحب الهوى يعميه الهوى ويصمه).
وكان السلف يقولون:
(احذروا من الناس صنفين، صاحب هوى قد فتنه هواه، وصاحب دنيا أعمته دنياه).
الهوى خطير وبعض الذين يتكلمون في لحوم العلماء لم يتجردوا لله جل وعلا، بل دفعهم الهوى لهذا الأمر.
السبب الثالث التقليد:

(إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون).
وأبين أن التقليد ليس مذموما بعمومه، وقد فصل العلماء في قضية التقليد ولكنني أحذر من التقليد الذي يؤدي إلى الحديث في لحوم العلماء.
قال ابن مسعود رضي الله عنه:
(ألا لا يقلدنا أحدكم دينه رجلا إن آمنَ آمن وإن كفرَ كفر فإنه لا أسوة في الشر).
وقال أبو حنيفة:
(لا يحل لمن يفتي من كتبي أن يفتي حتى يعلم من أين قلت).
وقال أحمد:
(من قلة علم الرجل أن يقلد دينه الرجال).
التقليد يؤدي أيها الأخوة إلى الحديث في لحوم العلماء، تقليد لفلان.
أحيانا تستمع إلى بعض الناس يتكلم في عرض عالم، تقول له هل استمعت إلى هذا العالم؟
قال لا والله. من قال لك؟ قال فلان. فهذا تقليد.
وأخطر منه السبب الرابع وهو التعصب:
ولي وقفة مع موضوع التعصب لحساسيته وعلاقته بهذا الموضوع.
قال أبو حامد الغزالي:
(وهذه عادة ضعفاء العقول يعرفون الحق بالرجال، لا الرجال بالحق).
ومن أشد أنواع التعصب **الحزبية.**
الحزبية لمذهب أو جماعة أو قبيلة أو بلد.
ومن خلال سبري لأقوال الذين يتحدثون في لحوم العلماء خاصة من الدعاة وطلاب العلم، من أبرز الأسباب التعصب وسبب التعصب هو الحزبية.
هذه الحزبية الضيقة، هذه الحزبية التي فرقت المسلمين إلى شيع وأحزاب، فأقول إن الحزبية أيها الأخوة أودت بالكثير للحديث في لحوم العلماء.
وهل أنا إلا من غزية إن غوت... غويت إن ترشد غزيت أرشد
إذا ضل من يتعصب له ضل معهم، وإن اهتدوا اهتدى معهم.
إن قال هؤلاء في عالم كلاما أخذ به، وإن رفعوا الحجاب عنه رفع معهم.
أحبتي الكرام تأملوا في خطورة هذه القضية، سمعت أن بعض طلاب العلم يتكلمون في بعض العلماء، في الأيام القريبة الماضية، وفجأة تغير موقف هؤلاء الطلاب، فسألت:
فقالوا أنهم سمعوا أن فلاناً من العلماء يثني على هذا العالم فأثنوا عليه.
ما الذي تغير ؟ لماذا كنتم تقدحون به منذ أيام والآن أصبحتم تمدحونه.
اسمحوا لي أن أقول بكل مرارة أن بعض طلاب العلم وبعض الدعاة قد سلموا عقولهم لغيرهم.
قلدوا في دينهم الرجال كما قال الإمام أحمد.
قلدوا في دينهم الرجال، إن اخطئوا أخطئوا معهم وإن أصابوا أصَابوا معهم.
التعصب لمذهب أو جماعة أو بلد أو قبيلة خطير جدا،من الملاحظ أن هناك من ينتصر لعلماء بلده ويقدح في العلماء الآخرين.
لا.. أيها الأحباب كيف نقدح في لحوم العلماء حتى لو كانوا من بلاد أخرى فبلاد المسلمين بلاد واحدة.
هذا التعصب والفتنة التي نعيش فيها هذه الأيام أفرزت أمورا خطيرة يجب أن يقف أمامها الدعاة وطلاب العلم، كل أهل بلد تعصبوا لعلمائهم:
أهل الشرق تعصبوا لعلماء الشرق.
وأهل الغرب تعصبوا لعلماء الغرب.
وأهل الوسط تعصبوا لعلماء الوسط.
ليس هذا هو المنهج الصحيح، نحن لا نعرف الحق بالرجال وإنما نعرف الرجال بالحق.
نأخذ بالحق مهما كان قائله.
أيها الأخوة هذه مسألة خطيرة، التعصب، الحزبية الضيقة هي التي أودت بنا إلى كثير من المهالك، فالله اللهَ أيها الأخوة انتبهوا لهذا السبب فهو سبب خطير.
السبب الخامس التعالم:
حيث يتكلم في عرض العالم ليفند قوله تقوية لقوله الضعيف، وما أكثر المتعالمين في عصرنا.
التعالم سبب من أسباب الحديث في لحوم العلماء.
السبب السادس النفاق وكره الحق:
سبب من أسباب الحديث في لحوم العلماء:
(في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا).

(وإذا قيل لهم آمنــوا كما آمن النـــاس قـــالوا أنـــؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون).
(وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون)

فالمنافقون والعلمانيون في عصرنا من أسباب الحديث في لحوم العلماء والمؤسف أنني استمعت في مجلس من المجالس إلى أحد هؤلاء المنافقين من القوميين والحداثيين وأمثالهم يتحدث في لحوم العلماء، فقلده بعض الطيبين من حيث لا يدري، ووافقه على ما يقول حتى رُد عليه في مجلسه.
الآن العلمانيون يتحدثون في علمائنا كلاما ننزه أسماعكم عن سماعة، فالنفاق وكره الحق من الأسباب الرئيسة في الحديث عن لحوم العلماء.
السبب السابع تمرير مخططات الأعداء كالعلمنة ونحوها:
أدرك العلمانيون أخزاهم الله أنه لا يمكن أن تقوم لهم قائمة والعلماء لهم هيئة وشأن، فماذا يفعلون ؟ بدئوا في النيل من العلماء، بدئوا في تحطيم صورة العلماء، بدئوا في الغمز واللمز.
من أجل ماذا؟ من أجل تمرير مخططات الأعداء، لا أقول لكم هذا من فراغ.
لقد استمعت إلى بعض هؤلاء فيما نقل لي عن طريق الثقاة، قالوا في العلماء كلاما والله لا يقبله عاقل فضلا عن طالب علم، لا يقبله عامي من عوام المسلمين في علمائهم.
ماذا يريد هؤلاء؟ يريدون أن يحطموا صورة العلماء.
ولي وقفة بعد قليل مع هذه القضية مبينا وموضحا ومنبها.

****

النقطة الثالثة الآثار المترتبة على الحديث في العلماء؟:

إذا تحـدثنا في علمائنا وأكلنا لحـوم العلمـاء وأصـبح الديـدن في مجالسـنا أن نتحـدث في علمائنا مـاذا يحدث؟ انظروا ماذا يحدث:
أولا إن جرح العالم سيكون سببا في رد ما يقوله من الحق.
جرح العالم ليس جرحا شخصيا، أنت عندما تجرح رجلا من عموم الناس فإنك تقدح في عرضه فقط، أما جرح العالم فليس جرح شخصيا إنما يكون سببا لرد ما يقوله من الحق.
ولذلك انتبه المشركون إلى هذه القضية فماذا فعلوا؟
ما طعنوا في الإسلام أولا...لا، ركزوا في الطعن على شخص الرسول (صلى الله عليه وسلم)، على الشخص الطاهر، لماذا ؟ لأنهم يعلمون علم اليقين أنهم إذا استطاعوا أن يشوهوا صورة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في أذهان الناس فلن يقبل ما يقوله من الحق، ولكنهم باءوا بالخسران والحمد لله.
سؤال يا أحباب:
لماذا قبل بعثة الرسول (صلى الله عليه وسلم) كان هو الأمين، كان هو الصادق، هو الحكم، هو الثقة، ما الذي تغير؟
عندما جاء بهذا الدين أصبح ساحر، كاهن، كذاب، مجنون.
إذا هم لا يقصدون شخص محمد ابن عبد الله ابن عبد المطلب، هم يقصدون شخص رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، لماذا ؟ لأنهم يعلمون أنهم إذا استطاعوا أن يؤثروا في أذهان الناس عن شخصية الرسول فلن يقبل ما معه، ولكنهم باءوا وخسروا.
هذا هو أسلوب المنافقين الآن، هذا هو أسلوب العلمانيين الآن.
فلذلك جرح العالم ليس جرحا شخصيا.
ثانيا أن جرح العالم جرح للعلم الذي معه وهو ميراث النبي (صلى الله عليه وسلم).
لأن العلماء هم ورثة الأنبياء، فجرح العالم جدر لأرث النبي (صلى الله عليه وسلم) وهذا معنى قول أبن عباس أن من آذى فقيها فقد آذى رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ومن آذى رسول الله فقد آذى الله جل وعلا.
إذا من يجرح في العالم يجرح العلم الذي معه، ومن جرح هذا العلم جرح أرث الرسول (صلى الله عليه وسلم)،إذا هو يطعن بالإسلام من حيث لا يشعر.
ثالثا أن جرح العلماء سيؤدي إلى إبعاد طلاب العلم عن علماء الأمة وسلفها.

رابعا أن تجريح العلماء تقليل لهم في نظر العامة، وذهاب لهيبتهم وريحهم .
وهذا ما يسر أعداء الله ويفرحهم، يقول أحد الزعماء الهالكين في دولة عربية بعد أن سلط إعلامه على العلماء واستهتر بالعلماء واستهزأ بالعلماء، ماذا قال في النهاية؟ قال:
(عالم..شيخ.. أعطه فرختين يفتي لك بالفتوى التي تريد). أخزاه الله.
سقطت قيمة العلماء في نظر العامة، والله إن خطورة هذا الأمر شأن عظيم.
ذهبت إلى بعض الدول الإسلامية وسألت عن العلماء فما وجدت علماء، أصبح العامة لا ينظرون للعلماء، لا يأبهون بالعلماء، لماذا ؟
لأن العلمنة سلطت أقلامها عليهم ومن هنا استمعوا إلى الأثر الخطير الذي قلت لكم أنني سأقف معه.
رابعا تمرير مخططات الأعداء.
من الآثار العظيمة والخطيرة في توجيه السهام إلى العلماء تمرير مخططات الأعداء.. كيف؟
ما فيه داعي للنظريات يا أحباب، اسمعوا إلى قضايا واقعية.
الحديث في رجال الحسبة الآن وهم من طلاب العلم كثُر، أصبحت أعراض رجال الحسبة مستباحة، ولم يقتصر هذا الأمر على عموم الناس وعلى المنافقين والعلمانيين، بل وقع فيه بعض طلاب العلم من حيث يشعرون أو لا يشعرون.
تجلس في بعض المجالس فتسمع أخطأت الهيئات، أخطأ رجال الهيئات، فعل رجال الهيئات.
سبحان الله! ما يخطئ إلا رجال الهيئات!
لماذا لا نتكلم عن أخطاء غيرهم ؟
اطلعت بالأمس على فتوى لسماحة الشيخ محمد ابن إبراهيم رحمه الله:
مجموعة من طلاب العلم اشتكوا أحد المسؤولين، ومن خلال الفتوى أو الرسالة التي قرأتها لشيخنا محمد ابن إبراهيم يبدوا أنهم زادوا في الشكوى.
أتعلمون ماذا حدث؟ أهينوا وسجنوا ، هذا في زمن الشيخ محمد ابن إبراهيم رحمه الله.
فكتب الشيخ رسالة ينبه إلى خطورة التعرض لطلاب العلم.
ولكني أسألكم هل رأيتم أحدا سجن عندما تكلم في أعراض رجال الحسبة ورجال الهيئات؟
جاءني بعض شباب الهيئات يقولون، تطاول الرجال والنساء علينا ولا نجد من يحمينا فنحن المتهمون دائما...ما المقصود؟
المقصود هو القضاء على الهيئات وتحطيم الهيئات.
حتى أصبحنا مع كل أسف نسمع من بعض طلاب العلم، وليسو طلاب علم ولكن المحسوبين على الدعاة أو المحسوبين على طلاب العلم أو المحسوبين على الشباب الصالحين يطالبون ويتكلمون في أعراض الهيئات وأنها تتجاوز وأنها..وأنها.
غيرهم ما يتجاوز! غيرهم ملائكة ! غيرهم رسل!
من يستطيع يتحدث في غيرهم؟ يقطع لسانه.
أما الهيئات، أما رجال الحسبة فهم المتهمون. رجل الحسبة متهم حتى يثبت براءته.
هذا لغرض يا أحباب، لا نكون أغبياء، لا نكون مغفلين.
القضاة، أسمع الحديث عن لحوم القضاة، طلاب علم وعلماء.
القاضي الفلاني فيه كذا، القاضي الفلاني فعل كذا، القاضي الفلاني اشترى أرض، القاضي الفلاني اشترى سيارة، القاضي الفلاني يؤخر المعاملة.
سبحان الله يا إخوان!
ما يخطئ إلا القضاة، لماذا نتحدث عن أخص ما في بيوت قضاتنا؟
ما دخلنا عن ما في بيوتهم؟ لكن قضايا مقصودة لتحطيم القضاء الشرعي.
سبحان الله! ماذا يقصد بهذا الكلام؟ أتدرون ماذا كانت النتيجة؟
قال بعضهم نحن لسنا بحاجة إلى القضاة وتعقيدات القضاة والمحاكم، القانون الفرنسي أرحم لنا من هؤلاء.
ويا أحباب حتى لا تتصوروا أني أتكلم من فراغ، هناك من يطالب بالقانون الفرنسي، وكاد أن يتحقق لهم الأمر.
أذكر لكم مثالا، نظام المرافعات الذي الغي، والحمد لله أنه الغي، ويشكر من كان سببا في إلغائه، نشكر كل من كان سببا في إلغاء هذا النظام.
أتدرون ما هو نظام المرافعات الذي كان على وشك التطبيق؟ مأخوذ من النظام المصري حرفا بحرف، والنظام المصري مأخوذ من النظام الفرنسي.
لا تتصورون الأمر صعب.. ولكن الحمد لله تدارك العلماء الأمر واستجاب المسؤولون لهذا الأمر، ونسأل الله أن يستجيبوا لبقية الأشياء الأخرى التي تخالف شريعتنا. نسأل الله ونقول لهم هذا ما يجب على العلماء أن يوضحوا.

أما الحديث عن الدعاة فحدث ولا حرج، الحديث عن الدعاة، عن المتطرفين، عن.. عن.. خذ الألقاب التي جاءتنا لم نعرفها أبدا.
إذا باختصار من آثر الكلام في لحوم العلماء وطلاب العلم تمرير مخططات الأعداء فانتبهوا لهذا الأمر.

****

النقطة الرابعة المنهج الصحيح في معالجة هذه القضية:
أحبتي الكرام سيسأل بعضكم ويقول هل أنت تريد منا أن نقدس العلماء؟
ماذا نفعل أمام أخطاء العلماء؟
أليس العلماء يخطئون؟ نعم أنا قلت أنهم يخطئون.
طّيب.. ما دمت تقول أنهم يخطئون ماذا نفعل؟
إذا اسـتمعوا إلى المنهج الصـحيح في معالجة هـذه القضـية، باختصـار كيف نجمع بين احـترام علمائنا وتقديرهم ومكانتهم وبين بيان الحق؟
واقسم هذا الموضوع إلى ثلاث نقاط:
1/ أول ما يجب في هذه القضية على العلماء أن يحموا أنفسهم.
كيف العلماء يحموا أنفسهم؟ كل واحد يكون معه جنديين أو ثلاثة!!؟
كيف يحمي العلماء أنفسهم؟
(على رسلكما إنه صفية).
رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حمى نفسه، مع من؟ أمام الصحابة، حتى استغربوا، لكن الرسول (صلى الله عليه وسلم) بين أن الشيطان يجري من ابن أدم مجرى الدم.
(على رسلكما إنها صفية)، فدافع عن عرضه (صلى الله عليه وسلم) أمام الصحابة.
(رحم الله امرأ دفع الغيبة عن نفسه).
كيف يحمي العلماء أنفسهم؟
إذا المسؤولية الأولى على العلماء أنفسهم أن يحموا أنفسهم.. كيف ؟ يحمون أنفسهم بما يلي:
* أن يكون العالم قدوة في علمه وعمله.

(أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم)

* على العالم أن يتثبت في الفتوى ويستكمل شروطها.
إذا طُلبت منه فتوى ينظر لماذا هذه الفتوى، ما هي آثار هذه الفتوى، ماذا يراد بهذه الفتوى.
على العالم أن يتثبت، ويستكمل شروط الفتوى، وذلك بفقه الأصول وفقه الفروع وفقه الواقع.
وإلا فلا يلومن إلا نفسه، إن تعرض له الناس.
ونحن لا نبرأ الناس من كلامهم في العلماء، لكنه كان سببا في الحديث في العلماء، عليه أن يتثبت ولا يتعجل، لا يكتفي بأنه قيل له كذا وكذا ثم يفتي، لا.
عليه أن يتأكد، يسأل ويتثبت عن ماذا يراد بهذه الفتوى؟
هل يراد بها استغلال أو غيره. عليه أن يتثبت في الفتوى.
* أن يحذر العالم من الاستدراج، والغفلة والتدليس.
فهناك من يستدرج العلماء، هناك من يستغفل العلماء، هناك من يلبّس على العلماء، فعلى العلماء أن يكونوا كما قال عمر وهو من أئمة العلماء رضي الله عنه :(لست بالخب ولا الخب يخدعني)، يقول أنا ما أخادع ولكن لا أحد يخدعني، رضي الله عنه.
نعم لا يُخدع العالم، فينتبهوا إلى أن هناك من يريد أن يدلس عليهم، من يريد أن يهون لهم الأمور، من يقول: لا... المراد بهذه الفتوى فقط كذا مسألة بسيطة. ثم تستغل الفتوى لغرض في النفس.
* على العالم أن يكون جريئا في الحق لا تأخذه في الله لومة لائم.
نحن نطالب ونطلب من علمائنا أن تكون لهم جرأة كأسلافنا رضي الله عنهم.
كجرأة أبس سعيد الخدري عندما وقف أمام مروان أبن الحكم عندما أراد أن يقدم الخطبة على الصلاة، فقال له
(يا مروان الصلاة قبل الخطبة يوم العيد، فسحبه من ثوبه قال مروان قد ترك ما هنالك).
فأنكر عليه علانية ولم يقل نكتب له ورقة ونصيحة سرية بيننا وبينه بعد. لا
أمام العلم، الصلاة قبل الخطبة يا مروان.
كالعز أبن عبد السلام سلطان العلماء، وقد ذكرت في محاضرة سابقة قصة سلطان العلماء، وأعيدها مرة أخرى لتعرفوا كيف يكون العلماء، وكيف يحمي العلماء أنفسهم.

كان الملك السلطان الصالح أيوب ملكا وواليا لدمشق وللشام عموما، وبسبب خلاف بينه وبين أبناء عمه تنازل للنصارى عن بعض الحصون.
ماذا فعل العز أبن عبد السلام في هذه القضية عندما تنازل الملك الصالح للنصارى عن بعض الحصون؟
قام على المنبر وخطب في جامع بني أمية ولم يدعو للملك الصالح إنما قال:
(اللهم أبرم لهذه الأمة أمرا رشدا يعز في أهل طاعتك ويذل فيه أهل معصيتك، ويأمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر، ونزل من على المنبر).
مجرد الدعاء للسلطان لم يدعو له.. ما يستحق.
ثم جاء الناس يستفتونه أن النصارى بدءوا يشترون السلاح من دمشق، فهل نعطيهم السلاح؟
قال ما يجوز أن تبيعوا عليهم السلاح.
ماذا فعل السلطان سجنه، ونحن نستغرب أحيانا يا أخوان أن يسجن عالم، طبيعي أن يسجن عالم.
سجن الإمام أحمد أبن حنبل، سجن العز أبن عبد السلام، وسجن أبن تيمية.

(ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا أمنا وهم لا يفتنون).

فلما سجنه، توقع أنه يعتذر وأن يطلب أن يسامحه، ولم يعتذر العز أبن عبد السلام.
فأرسل السلطان إليه أحد أعوانه وما أكثرهم، وقال له:
يا شيخ سوف أشفع لك عند السلطان أن يخرجك. فقط نريد منك شيئا واحدا أن تذهب معي إلى السلطان لتعتذر له وتقّبل رأسه.
طلب بسيط...ماذا قال العز أبن عبد السلام؟
قل دعك عني.. والله لو طلب مني السلطان أن يقبل يدي ما سمحت له أن يقبل يدي.
عافني الله مما ابتلاكم به يا قوم.. أنتم في واد وأنا في واد.
رفض.. توقيع، تعهد بسيط فتخرج وتعاد إلى الخطبة.
لا.. العالم لا يمكن أن يكون ذليلا في يوم من الأيام، لا يمكن أن يكون العالم ذليلا أمام فاسق، أو أمام ظالم يطلب منه هذا الشيء.
الآن عندنا سلطانيين، السلطان الحقيقي العز أبن عبد السلام، والسلطان الرسمي الملك الصالح أيوب.
السلطان ذهب لمقابلة النصارى، فخاف أن يخرج سلطان العلماء بالقوة.
فما كان من الملك الصالح إلا أن أخذ العز ابن عبد السلام معه وسجنه في خيمة، وجلس الملك الصالح أيوب مع النصارى، وبينما هو جالس معهم بدأ العز أبن عبد السلام يقرأ القرآن.
فسمعه الملك الصالح، أتدرون ماذا قال ؟
قال الملك الصالح النصارى تستمعون إلى الذي يقرأ.
قالوا نعم نستمع، قال تعرفون من هو؟ قالوا لا، لا نعرفه.
قال هذا من أكبر قساوستنا وسجنته، جاء بلغتهم مع أكبر أسف ولم يقل أكبر علمائنا.
أتدرون لماذا سجنته؟ قالوا لا.
قال إنه أفتى بعدم جواز بيع السلاح إليكم فسجنته من أجلكم.
يا للحسرة، ماذا قال النصارى؟
قالوا والله لو كان هذا قسيسا لنا لغسلنا رجليه وشربنا مرقتها.
هذا الرجل الذي يقف هذا الموقف الشجاع أمام أعدائه والله يستحق من يغسل رجليه ويشرب المرقه.
فخجل السلطان وأطرق وأمر بإطلاق العز أبن عبد السلام.
العالم يجب أن يكون صاحب مواقف شجاعة يا أخوان.
الخضر الحسين شيخ الأزهر، عندما كانت للأزهر مكانة وقوة.
عندما تولى محمد نجيب الثورة في مصر، قام وقال:
سنساوي الرجل بالمرأة.
فما الذي حدث؟ ما الذي حدث؟
اتصل به الخضر حسين وقال له:
أسمع إما أن ترجع عن قولك وإلا سوف أنزل غدا وأنا لابس كفني ومعي جميع الأزهريين إلى الشوارع فإما الحياة وإما الموت.
فجاءه محمد نجيب وجاءته الوزارة يقولون:
يا شيخنا، يا إمامنا نحن نعتذر لك الآن والكلام كان خطأ.
قال لا.. لا تعتذروا لي بل اعتذروا أمام العامة.
قالوا صعب أن نعتذر أمام العامة.
قال لا يوجد خيار إما أن تعتذر أنت يا محمد نجيب أمام الناس وإلا سأنزل للشارع وأنا لابس كفني.
فخرج من الغد محمد نجيب وقال الصحافة كذبت علي، أنا لم أقل شيئا.

هكذا يكون العالم.. إذا السلطان الحقيقي هو العالم.
بهذا نحمي أنفسنا أيها الأخوة وهو الأسلوب الأول لحماية أعراض العلماء.
2/ ما هو الواجب علينا اتجاه علمائنا ؟
الواجب علينا اتجاه علمائنا ما يلي:
* أن نحفظ للعلماء مكانتهم ودورهم في قيادة الأمة وأن نتأدب معهم.
انظروا إلى آداب طالب العلم كما قال السلف:
يقول العراقي:
(لا ينبغي للمحدث أن يحدث بحضرة من هو أولى منه بذلك، وكان إبراهيم والشعبي إذا اجتمعا لم يتكلم إبراهيم بشيء).
وقال أبن الشافعي:
(ما سمعت أب ناظر أحدا قط فرفع صوته).
وقال يحيى أبن معين:
(الذي يحدث في البلد وفيها من أولى منه بالتحديث فهو أحمق).
وقال الصعلوكي:
(من قال لشيخه لما؟ على سبيل الاستهزاء لم يفلح أبدا).
وتأدب أبن عباس مع عمر رضي الله عنهما حيث مكن سنة يريد أن يسأله عن مسألة من مسائل العلم فلم يفعل.
وقال طاووس ابن كيسان:
(من السنة أن يوقر العالم).
وقال الزهري:
(كان سلمةَ يماري أبن عباس فحرم بذلك علما كثيرا).
وقال البخاري:
(ما رأيت أحدا أوقر للمحدثين من يحيى ابن معين).
وقال المغيرة:
(كنا نهاب إبراهيم كما نهاب الأمير).
وقال عطاء ابن أبي رباح:
(إن الرجل ليحدثني بالحديث، فأنصت له كأني لم أسمعه أبدا وقد سمعته قبل أن يولد).
قال الشافعي:
(ما ناظرت أحدا قط إلا وتمنيت أن يجري الله الحق على لسانه).
وذكر أحد العلماء.. يا شباب استمعوا إلى هذه القصة:
(ذُكر أحد العلماء عند الإمام أحمد أبن حنبل وكان متكئاً من علة أي مريض فاستوى جالسا وقال لا ينبغي أن يذكر الصالحون فنتكئ)
وقال الجزري:
(ما خاصم ورع قط).
الأدب مع العلماء.
* أن نعلم أنه لا معصوم إلا من عصمه الله وهم الأنبياء والملائكة.
ما فيه أحد معصوم يا أخوان، ما فيه أحد ما يخطئ.
قال الإمام سفيان الثوري:
(ليس يكاد يفلت من الغلط أحد).
وقال الإمام أحمد:
(ومن يعرى من الخطأ والتصحيح).
وقال الترمذي:
(لم يسلم من الخطأ والغلط كبير أحد من الأئمة مع حفظهم).
وقال ابن حبان:
(وليس من الإنصاف ترك حديث شيخ ثبت صحة عدالته بأوهام يهم في روايته، ولو سلكنا هذا المسلك تُرك حديث الزهري، وجريج، والزهري، وشعبة لأنهم أهل حفظ وإتقان ولم يكونوا معصومين حتى لا يهنوا في رواياتهم).
إذا لماذا نحن يا إخوان نتلمس أخطاء العلماء؟ لماذا..؟ ما أحد يسلم من الخطأ.
* أن الخلاف منذ عهد الصحابة وإلى أن تقوم الساعة.
نعم الخلاف منذ عهد الصحابة وإلى أن تقوم الساعة سيبقى الخلاف

(ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم).
فطبيعي وجود قضية الخلاف يا إخوان.
* أن نفوت الفرصة على الأعداء وأن ننتبه إلى مقاصدهم وأغراضهم وندافع عن علمائنا.
* أن نحمل علمائنا على المحمل الحسن، ولا نسيء الظن فيهم حتى ولو لم نأخذ بأقوالهم.
وأريد أن أوضح يا إخوان أننا لسنا ملزمين بأخذ كل أقول العلماء.. لا.
يا أحباب هناك فرق كبير بين أن نأخذ بقول عالم وبفتوى العالم، وبين التجريح في شخصه.
نحن لسنا ملزمين أن نأخذ بفتوى العالم إذا كان هناك دليل يخالفها، الشافعي وغير الشافعي يقول:
(إذا صح الحديث فهو مذهبي).
لسنا ملزمين، ولكن هل يعني أنه إذا لم نأخذ بقوله أن نجرحه ونتكلم في عرضه؟ لا.
قال عمر رضي الله عنه:
(لا تظن بكلمة خرجت من أخيك المسلم سوء وأنت تجد لها في الخير محمل).
* أن ننتبه إلى أخطائنا وعيوبنا، وننشغل بها عن عيوب الناس عامة وأخطاء العلماء خاصة.
يا واعظ الناس قد أصبحت متهما إذ عبت منهم أمورا أنت تأتيها
وأعظم الإثم بعد الشرك نعلمه في كل نفس عماها عن مساويها
عرفنها بعيوب الناس تبصرها منهم ولا تبصر العيب الذي فيها
أقول لمن يتحدث في أعراض العلماء وينسى نفسه :
كناطح صخرة يوما ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل
يا ناطح الجبل العالي ليكلمه أشفق على الرأس لا تشفق على الجبل
أشفق على الرأس لا تشفق على الجبل، قد يقصر العالم، ولكن هل يعني أنه إذا قصر نترك علمه وعمله.
أعمل بعلمي وإن قصرت في عملي ينفعك علمي ولا يضررك تقصيري
تقصيري علي، وهذا ما يجب علينا اتجاه علمائنا.
3/ وهي مهمة جدا كيف نبين الحق دون أن نقع في علمائنا؟
وهذا بيت القصيد، إذا أخطأ العالم فكيف نستطيع أن نبين خطأ العالم دون أن نقع في عرضه؟
لأنه اختلط الأمر على الناس، فإما السكوت حتى على الخطأ، أو النيل من العلماء.
فاللبس الموجود الآن أنه إذا قام أحد العلماء أو أحد طلاب العلم وبين الحق بدليله قالوا:
قف أنت تحدثت بأعراض العلماء، أنت تنتقص العلماء، أنت تحدث فتنة بين العلماء.
والجانب الآخر أنه كلما تحدث العلماء بكلمة بدأ الطعن فيهم، العلماء فيهم، والعلماء فيهم، والعلماء فيهم.. لا يا إخوان.
إذا ما هو المنهج الذي نجمع فيه بين بيان الحق وعدم الالتزام بالفتوى إلا إذا كانت وفق الدليل دون أن نقع في أعراض علمائنا؟
يتحقق ذلك وفق النقاط التالية:
* التثبت من صحة ما ينسب إلى العلماء، فقد تشاع أقول لإغراض لا تخفى.
ليس كل ما ينسب إلى العلماء صحيح، أولا يجب أن نتثبت هل ما قاله العالم صحيح أو غير صحيح، وكم استمعنا لأقوال نسبت إلى كبار علمائنا، ولما ذهبنا إليهم قالوا والله كذب ما قلنا شيء.
تجد بعض الناس في المجلس: الشيخ فلان قال، الله يهديه وفيه وفيهِ وفيه.
ماذا قال؟ قال كذا، تذهب وتسأل العلم يقول والله ما قلت شيء.
فأولا يجب التثبت هل العالم قال أو ما قال.
* أن هناك فرق عظيم جدا بين رد الأقوال ومناقشتها والصدع بالحق، والطعن في العلماء.
فرق كبير جدا، فرق بين عدم الأخذ بالقول وعدم الأخذ بالفتوى والرد على الفتوى وبين الطعن في العلماء، فرق كبير جدا.
يجوز لنا أن نبين الحق.
يجوز لنا أن لا نأخذ بالفتوى إن لم توافق الدليل.
ولكن لا يجوز لنا الطعن في العلماء.
* أن يقصد المتحدث بكلامه وجه الله جل وعلا.
الإخلاص يا إخوان، أن يقصد وجه الله جل وعلا والدار الآخرة، وأن يحذر من الأغراض العارضة كالهوى والتشفي وحب الظهور.
إذا اضطر أحدنا لقول كلمة الحق ومواجهة العلماء فليتقي الله جل وعلا:
(فمن كان يرجو لقـاء ربه فليعمل عملا صـالحا ولا يشـرك بعبـادة ربه أحدا).

أن يخلص لله حتى يقبل منه، وينتبه أنه أحيانا قد يكون رده فعلا لله، لكن يدخل أعرض بعد ذلك كحب الظهور، فرصة أن فلان يرد على العلماء، يأتيه الشيطان، فليحذر من هذه الأعراض.
التشفي، بعض الناس إذا سمع أن أحد العلماء أخطأ سارع بنشر هذا الخطأ، ل.
فلننتبه للأخطاء العارضة، فعلى من يتولى الرد على العلماء أو على أقوال العلماء بعبارة أدق أن يكون مخلصا لله جل وعلا.

* الإنصاف والعدل.

يا إخوان اعدلوا مع علمائكم، يجب الإنصاف مع العلماء، ابن تيمية رحمه الله يقول:
(أهل السنة أعدل مع المبتدعة من المبتدعة بعضهم مع بعض).
يعني الآن إما نأخذ كل ما قاله العلم أو نرد كل ما قاله ؟؟؟ إما أنه أسود أو أبيض.
أين الإنصاف ؟

(ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون).

ويتضمن ذلك الثناء على العالم بما هو أهل له.
أيضا عدم التجاوز في بيان الخطأ الذي وقع فيه.
إذا وقع أحد العلماء في خطأ وأردت أن تبين خطأ العالم، ليست فرصه أن تتناول عرضه في كل شيء، وترجع تبحث عن تاريخه كله من ولد حتى توفي.
لا تتجاوز النقطة التي أردت، وإذا أراد أحد أن يسحبك إلى هذا فقل أتق الله.
لا تتجاوز، عدم التجاوز في بيان الحق، لأن الإنسان إذا انطلقَ انطلق.
العدل والإنصاف والثناء عليه بما هو أهل له.

* أن نسلك مسلك رجال الحديث في تقويم الرجال.

إذا أردنا أن نقوم العلماء، أن نتحدث في العلماء أن نسلك مسلك أهل الحديث، ومسلك أهل الحديث فسره العلماء، وأدلكم على رسالة جميلة مختصرة صغيرة في حجمها كبيرة في قيمتها تبين لكم هذا المنهج لأن الوقت الآن لا يتسع لشرحه، وهي رسالة بعنوان:
منهج أهل السنة والجماعة في تقويم الرجال ومؤلفاتهم/ للشيخ أحمد الصويان.
هذه الرسالة مطبوعة حديثة وموجودة في المكتبات وتعالج منهج أهل السنة والجماعة في تقويم العلماء ومؤلفاتهم.
إذا علينا أن نسلك منهج أهل الحديث.

* أن نعلم أن الخطأ على نوعين.

خطأ في الفروع وخطأ في الأصول، أما مسائل الفروع فهي مسائل اجتهادية يجوز فيها الخلاف ولا تبرر الحديث في لحوم العلماء، ونبين خطأ العالم في هذه المسألة دون التعرض لشخصه.
دون أن تعرض لشخصه، إنما نقول أخطأ. خالفه الصواب ولكن لا نتعرض لشخصه وهذا في المسائل الاجتهادية في الفروع.
أما مسائل الأصول وهي العقيدة، فيبين القول الصحيح ويحذر من أهل البدع في الجملة، وينبه إلى خطورة الداعي إلى بدعته دون إفراط ولا تفريط.
يقول شيخ الإسلام كما أسلفنا:
(أهل السنة أعدل مع المبتدعة من المبتدعة بعضهم مع بعض).
الله أكبر، أهل السنة أعدل مع المبتدعة أعدل من المبتدعة بعضهم مع بعض، لأن المبتدعة أكل في لحوم بعضهم البعض، أما أهل السنة فلا، ينصفون حتى مع الكفار.
إذا كيف بمن أخطأ، إذا كان الخطأ في بدعة فيحذر من البدعة، ويحذر من المبتدعة، ويحذر من الداعي إلى بدعته، ويبين خطورة هذا الأمر، لكن إياك أن تتعرض لشخصه.
استمعت منذ فترة إلى قصة مؤلمة ومحزنة، أحد الدعاة إلى الله المجاهدين في أفغانستان اتهمه بعض الناس في أخطاء في العقيدة، ويا ليتهم اقتصروا على بيان أخطائه في العقيدة.
والله يا إخوان بدءوا يذكرون قصص له في داخل بيته عن بنته وعن زوجته وعن أولاده.
أيجوز هذا يا إخوان؟ ألا نتقي الله جل وعلا. وهذا موجود في شريط..
يا أخي إذا كنت صادقا تريد أن تبين أن هذا العالم أو أن هذا المجاهد وهو عالم مجاهد رحمه الله وقع في أخطاء، نحن لا نحجر عليك أن تبين الخطأ، لكن ما دخل ابنته وزوجته وأولاده؟
لماذا التعرض للعلماء بهذا الشكل؟ لماذا؟ لماذا؟
لا نقول لا تقولوا كلمة الحق، قولوا كلمة الحق، بل نحن نقول لا تسكتوا عن كلمة الحق، لكن لا يجوز أن يكون بهذا الأسلوب يا إخوان.
التعرض لأشخاصهم والطعن فيهم، أسرارهم البيتية والله نشرت.

أيجوز هذا ؟ هل هذا من منهج أهل السنة؟ هل هذا من منهج السلف؟
إذا هذا هو المنهج.
* أخيرا إذا أمكن الاتصال بمن وقع منه الخطأ.
لعله أن يرجع عن خطئه سواء كان في الفروع أو الأصول، أقول إذا أمكن، لعله أن يرجع.
أليس قصدك الحق؟ ألست تريد بيان الحق؟
يا أخي دعه هو يرجع، أحسن لك وأحسن للحق، دعه يخرج على الملأ ويقول يا إخوان أنا تراجعت عن قولي، هذا أفضل من أن ترد عليه.
لأنك إذا رددت عليه قد يقتنع نصف الناس، ولكن إذا رجع هو سيقتنع كل الناس الذين أخذوا بفتواه، لكن بعض الناس يقول لا.. بسرعة سأرد عليه قبل أن يرجع.
إذا أخطأ عالم وجدت من يقول بسرعة أرد عليه قبل أن يرجع، نعم ما يجوز هذا.
إذا أمكن الاتصال فيه ومناصحته وتخويفه بالله، يرجع هو إلى الحق.
ألست تريد الحق؟ دعه يرجع.
هذا ما نريده، وقد تناظر اثنان من العلماء في مسألة من المسائل، كل واحد قال قولا وخطئه الآخر، فاجتمعوا يتناظرون وقالوا ليس هناك داع أن نذهب نتخطى أما العامة، تعالوا نتناظر.
ما الذي حدث ؟
عندما انتهت المناظرة كل واحد أخذ بقول الثاني، ورجعوا بقولين آخرين يحتاجون إلى مناظرة ثانية لأنهم يردون الحق، فلما بين الأول أدلته قال الآخر كلامك صحيح، ولما بين الثاني أدلته قال الأول كلامك صحيح، فرجعوا بقولين، لأن رائدهم الحق.
ألا نسلك هذا المنهج ؟؟

****

النقطة الخامسة أمور لابد من بيانها:

1/ أننا لا ندعو إلى تقديس الأشخاص والتغاضي عن الأخطاء أو السكوت عن الحق.
والخلط في ذلك، فلا إفراط ولا تفريط، ولا غلو ولا جفاء.
لا أدعو في محاضرتي إلى تقديس العلماء، لا أدعو إلى أنه لا يجوز أبدا أن نتحدث عن العلماء في أخطائهم، من فهم هذا فقد أخطأ.
لكن بينت لكم المنهج والفرق بين الحديث عن العلماء وأعرض العلماء وبين بيان كلمة الحق بالأسلوب الذي بينت.
2/ مسألة مهمة جدا حدثت في الأيام الماضية، ما هي ؟
دعوى الإجماع، وهذه جاءتني أسئلة كثيرة حولها:
فلان يخالف الإجماع إجماع العلماء.
من هو فلان يخالف إجماع العلماء، هذا يحدث فتنة.
يا إخوان الإجماع ليس بالأمر البسيط، هناك فرق كبير بين الإجماع والاجتماع.
الإجماع كما بينه العلماء أن يجمع علماء الأمة المعتبرون على مسألة من المسائل ولو خالف واحد لم ينعقد الإجماع.
يجتمع خمسمائة، ستمائة ونقول هذا إجماع الأئمة، من قال أن هذا إجماع الأمة؟
فرق بين الإجماع والاجتماع، ولذلك انتبهوا، ارجعوا إلى أصول الفقه، ونقرأ ما في أصول الفقه حتى لا نأخذ الأمور خطئ.
الإجماع له شروط، الإجماع له ضوابط، الإجماع ليس إجماع علماء بلد فقط بل هو إجماع علماء الأمة جميعا، وإذا خالف واحد من العلماء المعتبرين في شرق الأرض أو مغربها لم ينعقد الإجماع.
ولذا قال بعض العلماء أن الإجماع لم ينعقد بعد الصحابة، لأنه صعب جدا أن ينعقد الإجماع.
واحد أرسل لي ورقة يقول لي أن فلانا خال إجماع الأمة، مع أن العلماء أجمعوا وزيادة.
طيّب.. بارك الله فيك نحن نعرف إجماع العلماء فما هي الزيادة؟
أنا والله ما قرأت لا في كتب الفقه ولا أصول الفقه الزيادة.
نعم كذا كتبها أن العلماء أجمعوا وزيادة على المسألة الفلانية وخلاف فلانا وفلانا.
طيّب.. فقهنا إجماع العلماء فأين الزيادة ؟ الزيادة كالنقص.
فيجب أن تفهم هذه الضوابط، ومن هذه الضوابط أن إجماع علماء بد ليس إجماع.
ثم ناحية أخرى أن العبرة ليست بالكثرة أو القلة، العبرة بالحق.
3/ أن بعض العلماء قد يفتون بفتوى لها أسبابها، فيأتي آخرون ويخالفون هذه الفتوى.

ثم يبدأ الطعن في المخالف ويتهم بتهم باطلة كالفتنة وحب الخلاف وحب الظهور وقلة العلم وهلم جرا، فعلينا أن ننتبه أنه قد يقوم العلماء ويفتون بفتوى.
يأتي بعض طلاب العلم ويخالفون هذه الفتوى، فيبدأ الطعن في هذا العالم المخالف، يبدأ الطعن بالمخالفين، من أنت حتى تخالف؟ أنت تحب الفتنة، أنتَ أنت.
ولذا علينا أن ننتبه إلى ما يلي:
- أنه كل يأخذ من قوله ويرد إلا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وما جاء به.
أن المخالفِين علماء يجب احترامهم وتقديرهم، والمخالَفين علماء أيضا.
لماذا حرام الحديث عن هؤلاء وحلال الحديث في هؤلاء ؟
لا يجوز الحديث لا في أعراض هؤلاء ولا في أعراض هؤلاء، لا المخالفِين ولا المخاَلَفين.
- أننا نعرف الرجال بالحق ولا نعرف الحق بالرجال.
- أن نتثبت من صحة الفتوى واكتمال شروطها عند الموافقين والمخالفين ، المهم من صحة الفتوى، أما من أين جاءت فلا يهم. المهم هل الفتوى التي صدرت من هذا العالم أو ذاك مكتملة الشروط أم لا.
- أن مسائل الاجتهاد يجوز فيها الخلاف، فلماذا يا إخوان تضيق أنفسنا بالخلاف؟ صحابة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) اختلفوا.
عندما أرسلهم الرسول إلى بني قريظة اختلفوا.
اختلفوا بعد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لكن ما أدى بهم ذلك إلى الفتنة وإلى طعن بعضهم في بعض.
- النقطة الأخيرة في هذه المسألة أن مجرد المخالفة ليس خطأ.
ولا عبرة للصغر والكير هنا إذا توافرت الشروط، ما يأتينا واحد يقول هذا عالم صغير خالف العالم الكبير،لا.. لا، هذا ما فيه عبرة.
العلماء قديما وحديثا الصغير يخالف الكبير وقد يكون الحق مع الصغير في سنة، السن لا قيمة له هنا، فالعبرة بتوافر شروط الفتوى وأسباب الفتوى.
الشيخ عبد العزيز في حياة الشيخ محمد ابن إبراهيم (رحمهم الله) أفتى بفتوى خالف بها الشيخ محمد، وما قال له الشيخ محمد من أنت حتى تخالفني.
وما قال له الناس من أنت حتى تخالف الشيخ محمد، أو تخالف العلماء.
مع أن الراجح هو قول الشيخ عبد العزيز رحمه الله.
أبن تيمية خالف علماء بلده، وثبت أن الحق معه رحمه الله.
لا عبرة بالصغير والكبير في هذه المسائل، العبرة بمن معه الدليل صغر أو كبر.

****

النقطة السادسة لماذا تبرز أخطاء العلماء أكثر من غيرهم:

السبب بسيط جدا أن الثوب الأبيض الناصع لو وجد فيه نقطة سوداء تبين من مسافة بعيدة.
العلماء كالثوب الأبيض أي نقطة سواد تبين فيهم، فلا نستغرب أن تبرز أخطاءهم.
أما غيرهم فكالثوب الأسود لو تضع عليه فحم أو شحما ما بان.
ولذلك نحن في الصيف الواحد منا يستبدل ثوبه كل يومين أو ثلاثة ثوب أبيض، بينما في الشتاء قد يجلس الثوب أسبوعين أو ثلاثة مع أن الوسائل التي قد تغير الثوب في الشتاء أكثر من الصيف.
ولكن الثوب الأسود لا يبين فيه شيء.
فالعلماء كالثوب الأبيض تبرز أخطاءهم ولو هي صغيرة جدا.
فعلى العلماء أن ينتبهوا إلى هذه النقطة كما ننتبه لثيابنا، فكل واحد قبل أن يخرج يتفقد ثوبه، بل ولا يكتفي بل يسأل أهله النظر إلى ثوبه من الخلف هل به شيء.
يتفقد أعماله، وعلى الآخرين أيضا أن لا يضخموا هذه القضايا، أما غيرهم فلا يبين فيهم شيء مهم كبر، فحم أو سواد أو زيت لا يبين فيهم شيء.

****

النقطة السابعة نحذر من المدح بما يشبه الذم:

يأتي يمدح الشيخ فلان فيقول:
الشيخ فلان ما شاء الله، فيه وفيه.... لكن، ثم حط بعد لكن!!
يقدم له مدحا ربما لمدة خمس دقائق ومن ثم كلمتين فقط يدخلهما، وهذا هو قصده.
فأنبه إلى خطورة هؤلاء، وأن يخوفوا بالله عجل وعلا.

الذم بما يشبه المدح كما تكلم البلاغيون.

****

النقطة الثامنة أن من أساء الأدب مع العلماء سيلقى جزاءه عاجلا أو آجلا:

وقال لإمام الذهبي في ترجمة أبن حزم:

(وصنف كتبا كثيرا وناظر عليها وبسط لسانه وقلمه، ولم يتأدب مع الأئمة في الخطاب بل فجج العبارة، وسب وجدع فكان جزاءه من جنس فعله بحيث أعرض عن تصانيفه جماعة من الأئمة وهجروها ونفروا منها أحرقت في وقته).

وما نراه من الواقع المشاهد أن من يسب العلماء يسقط من أعين العامة والخاصة.

ويقول الحافظ ابن رجب:

(والواقع يشهد بذلك، فإن من سبر أخبار الناس وتواريخ العالم وقف على أخبار من مكر بأخيه فعاد مكره عليه، وكان ذلك سببا لنجاته وسلامته أي الممكور فيه).

****

النقطة التاسعة وهي وقفة أوجهها للعلماء وطلاب الذين يبتلون بهذه البلوى:

فأقول عليهم بالصبر وأن يتقوا الله جل وعلا.

وليعلموا أنهم ليسو أفضل من الأنبياء والرسل.

ورسولنا (صلى الله عليه وسلم) ما سلم من الكلام في عرضه، بل حتى في داخل بيته (صلى الله عليه وسلم) في قضية الإفك وغيرها, فلهم أسوة وقدوة برسولنا (صلى الله عليه وسلم)، وليعلموا أن العاقبة للمتقين.

فهذا يوسف يقول الله عز وجل عنه:

(قــال أنا يوسف وهــذا أخي قد من الله علينا إنه من يتق ويصــبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين)

وعن موسى يقول الله عز وجل:

(قال موسى لقومه استعينوا بالله واصــبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين).

ويقول سبحانه وتعالى:

(ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله).

وصدق من قال:

ولست بناجي من مقالة طاعن ولو كنت في غار على جبل وعر
ومن الذي ينجو من الناس سالما ولو غاب عنهم بين خافيتي نسر

****

النقطة العاشرة والأخيرة أقول للمتحدثين في العلماء:

اتقوا الله، توبوا إلى الله، انيبوا واثنوا على العلماء بمقدار غيبتكم لهم، وأقول لهم العاقبة للمتقين وأنتم الخاسرون:

كناطح صخرة يوما ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل.
يا ناطح الجبل العالي ليكلمه أشفق على الرأس لا تشفق على الجبل

والعالم عالي.

فأقول:

اتقوا الله واحفظوا لعلمائكم كرامتهم وقيمتهم،

وانتبهوا للمنهج الذي بينته في الحديث عن أخطاء العلماء.

أسال الله أن ينفعنا بما علمنا، وأن يجعلنا ممن يستمعون القوا فيتبعون أحسنه.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

تم بحمد الله وتوفيقه.

....

أخي الحبيب – رعاك الله

لا نقصد من نشر هذه المادة القراءة فقط أو حفظها في جهاز الحاسب،

بل نأمل منك تفاعلا أكثر من خلال:

إبلاغنا عن الخطأ الإملائي أو الهجائي كي يتم التعديل.

- نشر هذه المادة في مواقع أخرى على الشبكة.
- مراجعتها ومن ثم طباعتها وتغليفها بطريقة جذابة كهدية للأحباب والأصحاب.
- في حال إمكان ذلك الأستاذان من الشيخ لتبني طباعتها ككتيب يكون صدقة جارية لك.

أخي الحبيب لا تحرمنا من دعوة صالحة في ظهر الغيب.

من خلال اقتراحاتك وتوجيهاتك لأخيك يمكن أن تساهم في هذا العمل الجليل.

اللهم اجعل هذا العمل خالصا لوجهك الكريم.

للتواصل:

أخوكم البوراق / anaheho@maktoob.com

....